

Les grandes lignes de la :

COMMÉMORATION DE LA NAISSANCE DU PROPHÈTE

Lecture Chrétienne

Etant invité à participer à la solennité organisée par la Faculté de Jurisprudence de l'Université de Kalamoun à Deir-Atyieh/Syrie, en date du 11.4.2006, j'ai présenté les félicitations de coutume, au nom de la Communauté Chrétienne, dans une allocution dont voici la traduction des grandes lignes :

«Au nom de Dieu le Clément, le Miséricordieux : le Dieu Unique, Amen »

Après avoir récité la plus ancienne prière chrétienne, retrouvée dans le manuscrit du Mont Sinaï No 154, écrit en 760, j'ai parlé de Qoureich, la plus noble tribu Arabe, qui a vu naître le Prophète de l'Islam :

Peu après sa naissance en 570, son père Abdullah meurt. Il était monothéiste, comme bon nombre de mecquois. Baraka, Oum Ayman, sa gouvernante chrétienne éthiopienne le prend en charge. Mahomet l'aimait comme sa mère et disait :

« Celui qui voudrait épouser une femme du Paradis devrait épouser Oum Ayman »

Par la suite, il est confié à une nourrice chrétienne Halima de la tribu de Bani-Saad, très célèbre pour son éloquence et sa maîtrise de la langue Arabe.

Devenu adulte, la Biographie Aleppine nous confirme que le Messager participait à des retraites érémitiques, à Ghar Harra' durant le mois de Ramadan, avec Waraqa Ben Nowfal et Abi Oumayia Ibn Al-Maghira, pour jeûner, prier et méditer...

Le Prophète accompagnait son oncle Abi Taleb dans ses voyages d'affaires, au Yémen et en Syrie où il a connu le Christianisme, ses moines et ses prêtres qu'il a aimé et qui l'ont affectionné. Le verset 82 de la Surat 5 illustre bien ces faits :

*«...et tu trouveras certes que les plus disposés à aimer les Croyants sont ceux qui disent :
nous sommes Chrétiens, c'est qu'il y a parmi eux des prêtres et des moines
et qu'ils ne s'enflent pas d'orgueil »*

Après quelques citations historiques et Coraniques, j'ai terminé en récitant une belle invocation au Seigneur Dieu, empruntée à une antique homélie syrienne. Tout l'auditoire, s'est mis à répéter à l'unanimité, après chaque verset : Amen...

C'était à Deir-Atyeh, le 11.4.2006

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

سماحة المفتي الجليل،
السيد مدير المنطقة المحترم،
حضرات الشيوخ والآباء الأفاضل،
السادة رجال الدولة الكرام،
السيدات والسادة المحترمين،
الأخوة الأعزاء جميعاً،

للمرة الثانية أتشرف بالوقوف بينكم، في مسقط رأسي النبك، الذي أعتزّ به، للمشاركة بـ

" ذكرى المولد النبوي الشريف "

فأستهل كلمتي هذه ببسملتي المؤمنين - مسلمين و مسيحيين - رمز إيماننا جميعاً بوحدانية

" الله الأحد ، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " (1)

و أقول عالياً :

بسم الله الرحمن الرحيم إله واحد آمين

باسم كل من يكنّ المودة للذين آمنوا، أقدم التهاني والتبريكات بهذه المناسبة السعيدة على قلوبنا جميعاً وبعد :

وكان قبل كل شيء	" الحمد لله الذي لم يكن شيء قبله
والله مصير كل شيء...	الذي ليس شيء بعده
أن تجعلنا ممن يعرف حَقَّك	نسألك اللهم برحمتك وقدرتك
ويستجِبَ بأسمائك الحسنى	ويتبع رضاك ويتجنب سُخطك
أنت الراحم، الرحمن الرحيم	ويتكلم بأمثالك العليا
و على الخلائق عُلَّيت...	على العرش استويت
وإله كل شيء وخالق كل شيء	فأنت اللهم ربُّ كل شيء
ولين قلوبنا واشرح صدورنا	افتح أفواهنا و أنشر ألسنتنا
العلي العظيم، المبارك المقدس	لتسبيح اسمك الكريم
ولا إله بعدك	فإنه لا إله قبلك
وأنت على كل شيء قدير" ... (2)	إليك المصير

بعد هذا الدعاء الرائع الذي استقيته من أقدم نصّ عربي مسيحي، وبهذه المناسبة السعيدة : ذكرى مولد النبي العظيم :

محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم -

الذي وحّد الجزيرة على الإيمان بوحدانية الله وعزّز في نفوس أبنائها الكرامة والإيمان ... أوّد التأكيد، لحفلكم الكريم،
أني أعتزّ بانتمائي إلى القلمون الذي جعل منه كبارَه الحكماء وأبناؤه الأوفياء رمزا للتعايش والتسامح والمحبة بين
مسلميه ومسيحيه.

من أفواه رجال الدين والشيوخ تعلمنا الكثير عن حياة النبي، لذا أوّد التركيز على حياته قبل رسالته وعن البيت الذي نشأ
فيه :

" نحو عام 570 م - وهو عام الفيل- وُلِدَ في مكة لرجل يدعى عبد الله بن عبد المطلب من آل هشام من قبيلة قريش، من زوجته أمنة ، طفل دُعيَ محمداً ، وهو نبي الإسلام. "... (3)

وقبيلة قريش هي أولى القبائل العربية شرفاً وجاهاً، إذ كان لها حصر الحجابة، القيادة، السقاية، الرفادة، دار الندوة، اللواء. (4) إذ كانت عائلة النبي تتولى أمور الكعبة. ويؤكد مفسرو القرآن الكريم أن والديه كانا على الصراط المستقيم، حنيفين مؤمنين بوحداية الله، عز وجل. توفى الله والدّه وهو لا يزال في المهد ، تاركاً له خمس نوق ومربيةً نصرانية اسمها " بركة الحبشية " وكنيتها " أم أيمن " وكان النبي يحبّها كثيراً حتى أنه كان يقول لها :

" أنت أمي بعد أمي "... (5) كما قال : من سرّه أن يتزوج من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن " (6)

إثر وفاة والد النبي تكفله جده لأبيه عبد المطلب، واسترضع في بني سعد فأرضعته حليلة السعدية، وكانت نصرانية، ولما نمت وترعرع رده إلى أمه التي توفيت بعد فترةٍ وجيزة، فعاد يتيمُ الوالدين إلى عمه أبو طالب، السيد المطاع ذي الهيبة والوقار في عشيرته لما تحلّى به من صفات حميدة ومعتقدات سديدة وأحكام رشيدة، ومعروف عنه تحنّته في غار حراء مع ابن عمه القس ورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة وابنه علي وابن أخيه محمد وكان ابوطالب معروفاً بمكارم الأخلاق وإطعام المساكين ووفاء النذر. وتحريم الخمر ومنع الزنى ومحاربة الأوثان والإيمان بالقيامة والحساب... (7) فـ "نهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه ، وضمه إلى ولده وقدمه عليهم وخصّه بفضل واحترام ، وظلّ فوق أربعين سنة يُعزّز جانبه ويبسط عليه حمايته ويصادق ويخاصم من أجله "... (8) هذه عائلة النبي ذات الأخلاق الكريمة والإيمان...

عمل الرسول في حياته مع عمّه أبي طالب في رعاية الماشية وتعلم منه الصيد والقتال والتجارة ورافقه في أسفاره إلى اليمن السعيد وبلاد الشام، وخالط مختلف الشعوب واضطلع على النصرانية بطوائفها (أريوسية، نسطورية، منوفيزية وخلقيدونية) وتعرّف على رهبانها وقسيسيتها وأحبهم ، ونزلت الآية الكريمة :

" ولتجنّدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بان منهم قسيسين و رهباناً وإنهم لا يستكبرون "... (9)

وهؤلاء الرهبان والقسيسون هم أيضاً أحبّوه، وموسوعة الأديان تفيدنا بما يلي : " وفي سفره هذا رآه الراهب بحيرا قرب الشام، فسأل أبا طالب أن يرده إلى بلده وأن يحذرّ عليه من اليهود... " (10)

ولمّا كانت عائلة النبي على التوحيد كما جاء في القرآن

" ولنن سألتهن من خلق السموات والأرض وليقولنّ : الله " (11)

" ولنن سألتهن من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنّ: الله ". (12)

- ولما كانت عائلة النبي وعشيرته سدة الكعبة موحدتين عابدين متحنّتين،
- ولما كان الله سبحانه قد صانه من دنس الجاهلية ومنحه خلقاً جميلاً حتى لم يكن يُعرف إلا بـ " الأمين " ... (1- كان لا بد لهذا الشاب المعجزة الذي وُلِدَ ونشأ في جوٍّ مفعم بالإيمان والهداية والمليء بعباد الله الواحد الأحد و خائفه أن يكون أهلاً لرسالته التي وُحِدَ حولها الجزيرة العربية وعلم منذراً مبشراً :

" ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، لكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبیین وآتى المال على حبه ذوي القربى والیتامى والمساکین وابن السبیل والسنالین وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بوعدهم إذا عهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون "... (14)

وختاماً أتمنى عليكم المشاركة في رفع هذا "الاسترحام" إلى من على العرش استوى : " يا رب "

يا أرحمَ الراحمين نتوسل إليك ضارعين أن تقوم سبلنا
وتعين ضعفنا وتثبت أقدامنا وتطهر أعمالنا
وتنقي ضمائرنا وتمحي أوزارنا وتقدس نفوسنا

وتستّر أعراضنا وتشفّي مرضانا وتسدّد شيوخنا
وتعضد شبابنا وتربي أطفالنا وتردّ غيابنا
وتصبر المحزونين وتشبع الجائعين وتحفظ الحاضرين
وتعيد المفقودين وتبعد جور الظالمين وترزقنا يا كريم... (15)

" يارب "

يا أرحم الراحمين نتوسل إليك ضارعين أن تحمي رئيسنا
وتحفظ كرامة شعبنا وتحصن عزّة وطننا وتوحد قلوبنا
وتثبتنا في تعاشنا إلى أبد الأبدن آمين...

نبيك، في 2006/4/11

فؤاد عزيز قسيس

مصادر ومراجع: (1) سورة الإخلاق - 4-1/112-4 مكية

- (2) هذا بعض من أقدم نص عربي مسيحي وصل إلينا مؤرخ بين 760/ 765 مجهول المؤلف وصل إلينا في نسخة وحيدة محفوظة في طور سيناء مخطوط 154 عربي- فقدت من الورقة الأولى...
- (3) موسوعة الأديان - مهد الحضارات - الجزء 9 - الإسلام - المركز الثقافي الحديث بيروت سنة 2005 ص. 9
- (4) ابن هشام 124/2 تاريخ الطبري 258/2- الكامل لابن الأثير 13/2- أنساب البلاذري 52/1
الحجاية: الوصاية على مفاتيح الكعبة - القيادة: حكم الأمة - السقاية: توفير الماء للحجاج
الرفادة: إطعام الحجاج - دار الندوة: برلمان للتشاور في أمور المدينة -
اللواء: حمل العلم (قطعة قماش) على رأس الرمح عند إعلان الحرب.
- (5) السيرة الحلبية 117/1
- (6) السيرة الحلبية 57/1
- (7) السيرة الحلبية 259/1- 260
- (8) محمد الغزالي، فقه السيرة - ص 67
- (9) القرآن الكريم - سورة المائدة 82/5 مدنية
- (10) موسوعة الأديان - مهد الحضارات جزء 9- الإسلام - المركز الثقافي الحديث، بيروت، سنة 2005 ص. 12
- (11) سورة لقمان 25/31 + الزمر 38/39 + الزخرف 87/43
- (12) سورة العنكبوت 63/29 مكية
- (13) حياة النبي محمد - سيرة الرسول - إسماعيل بن عمر كثير الشافعي - دار نوبليس، بيروت، سنة 2005 ص. 18
- (14) سورة البقرة 177/2 مدنية
- (15) استقيتُ هذا " الاسترحام " من صلاة قديمة / مترجم عن السريانية...